

## تجليات التناص الديني في شعر البارودي

صادق فتحي دهكردي<sup>١</sup>، مجتبي گروسي<sup>٢</sup>

١. استاذ مساعد، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة كردستان

٢. ماجستير في اللغة العربية و آدابها، جامعة كردستان

(تاريخ الاستلام: ٨٨/٣/٣ ؛ تاريخ القبول: ٨٨/٧/١٢)

### خلاصة

يعتبر محمود سامي البارودي الشاعر الذائع الصيت المصري من رواد التحديد في الشعر العربي الحديث والذي أحيى الشعر العربي بعد ما فقد قوة الإبداع و الابتكار في العصرين المملوكي و العثماني، و أعاد إليه جماله و طراوته السابقين. و بما أن الشاعر خضع منذ طفولته لتعاليم دينية و قرآنية و كان يرى أن من واجب الشعر التهذيب الأخلاقي للإنسان و المجتمع لذا حاول في أشعاره أن ينشر بين الناس أصول العقائد و فروعها و كذلك القيم الدينية الأخلاقية و الاجتماعية بما فيها الوفاء بالعهد، حفظ السر، السدعاء، التقوى، الزهد، التوبة، الكرم، الشجاعة و ... فنراه يستخدم التناص القرآني و الروائي كأفضل طريق للوصول إلي هذا الهدف المنشود.

يحاول هذه المقالة أن يعالج بعضا من هذه الأصول و القيم مشيرا إلي التناص المستخدم في الآيات قرآنية كان أو روائية.

### الكلمات الرئيسية

البارودي، الشعر، التناص، الدين، القيم

## المقدمة

ولد محمود سامي البارودي في القاهرة سنة ١٨٣٨م في أسرة ذات جاه و منزلتة . توفي أبوه عندما كان في السابعة من عمره فكفلته أمه وتلقي دروسه الأولى في البيت تحت إشرافها، وبعدها انتهى منها التحق بالمدرسة الحربية فتخرج منها عام ١٨٥٤م وهو في السادسة عشرة من عمره فالتفت إلى الشعر نظرا إلى الأوضاع السياسية و الاجتماعية السيئة في مصر من جهة و ميله الشديد إلى الأدب و الشعر من جهة أخرى. ولكنه لم يعجبه الأسلوب الشعري السائد في عصره لأنه كان استمرارا للأسلوب الشعري في العصرين المملوكي و العثماني، فالتفت إلى دواوين الشعراء في العصر العباسي فراقه من التراث شعر الحماسة و الفخر، و وصف ميادين القتال و أعمال الأبطال فمالث أن ازدهر ذوقه الشعري فأحبي الشعر العربي و أرجع إليه نضارته و جماله السابقين و أصبح رائدا للتجديد في الشعر العربي الحديث.

لم يجد البارودي في مصر أرضية ملائمة لنمو ذوقه الشعري فسافر إلى الأستانة و تعلم هناك اللغتين التركية و الفارسية و اغتنم الفرصة لقراءة أكثر دواوين الشعراء العباسيين التي كانت متوفرة في مكتبات الأستانة (ضيف، ١٩٦١م، صص ٦٥ و ٨٥ و الدسوقي، ١٩٦٦م، ص ٢١٢). عندما سافر إسماعيل سلطان مصر إلى الأستانة لفت البارودي انتباهه فاصطحبه إلى مصر في عودته فانضم إلى الجيش و ظل يرقى في المناصب العسكرية حتي وصل إلى رتبة القائم مقام فاللواء و دخل أيضا في مجال النشاطات السياسية و الاجتماعية و عندما ظهرت ثورة عرابي باشا ضد الحكومة المصرية انضم الشاعر إلى صفوف الثوار، و بعدما أخفقت الثورة نفي مع زملائه إلى جزيرة "سرنديب" (سريلانكا الحالية) حيث بقي في المنفى ١٧ سنة و عاد إلى مصر عام ١٩٠٠م و استقبلته مصر بكل حفاوة و صار بيته ندوة يقصده الأدباء و الشعراء فأخذ في تنقيح ديوانه إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة سنة ١٩٠٤م.

## شخصيته الدينية و الأخلاقية

إن شخصية الشاعر الفكرية الدينية و الأخلاقية تكونت في أسرته إذ إنها- و وفقا لسنة قدمها- كانت تدعو معلمي القرآن إلى البيت لتربية البارودي و تعليمه فكان لها دور هام في نموه الثقافي و تعرفه على المفاهيم و المضامين القرآنية. و ظهر تأثير هذه التعاليم جليا في المراحل المختلفة لحياته و في اتجاهاته الفكرية و النشاطات السياسية الاجتماعية و لاسيما أشعاره. و عندما كان الشاعر منضما إلى الجيش، يقاتل الأجانب برفقة الثوار و عندما التقى بعلماء كالسيد جمال الدين الأسدآبادي و الشيخ

محمد عبده، كان يجاريهم لإنقاذ الشعب المصري و مواجهة الثقافة الغربية و القيم اللاإسلامية (عويضة، ١٩٩٤، ص ٥٩).

كان البارودي رجلاً كريماً شجاعاً ذا عزم عال و خلق حسن، و كانت أكثر مدائحهم فيمن يستحق المدح و الثناء و لم يرث أحداً إلا و يحبه كثيراً. و بما أنه اشترك في معارك عنيفة فلذا أجاد في وصف ميادين القتال و الحرب. كان البارودي رجلاً مؤمناً و بما أن المؤمن يتصل بالله في كل حال و يعتمد بحبل الله المتين فلذا نراه يحاول لنشر التعاليم الإسلامية في المنفى فنشر الدين الإسلامي فيما بين سكان "سرنديب" و علمهم قراءة العربية و كتابتها و كذلك القرآن و تفهم فحواه و معانيه، و كان يلقي محاضرات في المساجد لكل من يعتنق الإسلام (المصدر نفسه، ص ٥٢).

### التناس

"يعد التناص من أبرز التقنيات الحديثة التي عني بها أصحاب الشعر العربي، و احتفوا بها بوصفها ضرباً من تقاطع النصوص الذي يمنح النص ثراءً و غني و يسهم في النأي به عن حدود المباشرة و الخطابة" (جابر، ٢٠٠٧، ص ١٠٧٩). إن التناص مصطلح جديد دخل مؤخراً في الدراسات الأدبية و له دلالة نقدية فيها. يعتبر التفاعل و التشارك بين النصوص ركناً رئيسياً للتناص. و هذا يقتضي الحفظ و المعرفة السابقة بالنصوص السابقة لأن النص يتعلق حدوثه بتمثيل النصوص السابقة بنص واحد يجمع بين الحاضر و الغائب (محمد فارس سليمان، ٢٠٠٥، ص ١٣). فيقتضي استحضار النصوص جلياً، و لا يتم النضج الحقيقي للنتاج الأدبي إلا بعد استيعاب الجهود السابقة عليه. مما لا شك فيه أن التناص يقتضي أن يعود الأديب إلى الوراء ليأخذ من النصوص القديمة ما يلائم نضجه و هذا يقتضي الحفظ و الفهم و الاطلاع علي النصوص الأدبية السابقة (المصدر نفسه، ص ١٤). فلذا تعتبر كل قصيدة - علي حد تعبير عبد العزيز حمودة - إعادة كتابة لا الكتابة و بهذا المفهوم يعد كل نص نوعاً من التناص (جابر، المصدر نفسه، ص ١٠٨١).

### تجليات التناص الديني في شعر البارودي

إن القارئ لشعر البارودي يظهر له بوضوح أن الشاعر بحكم تربيته الدينية و القرآنية يقتبس من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية (ص) لإيصال ما يجول في فكره من المعتقدات و الأفكار إلي المخاطب في أسلوب ديني يدل علي سعة معرفته الدينية و ثقافته القرآنية. و لا غرو في ذلك لأنه كان قد خضع لتعاليم دينية و القرآنية منذ طفولته حيث نراه ينشر الدين الإسلامي بين سكان "سرنديب" عندما كان يقضي أيام النفي فيها. فيستطرد الشاعر في أشعاره إلي كثير من العقائد و القيم

الإسلامية، من أصول الدين كالتوحيد والنبوة والمعاد إلي الفروع كالصلاة، الجهاد، الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و سائر القيم الدينية الأخلاقية الاجتماعية كالصبر، الوفاء بالعهد، ذم النمام، حفظ السر، التقوي، التوبة، إخلاص النية، الزهد، عدم الركون للذل، حب الوطن، عدم معاشرتة اللئام، إخلاص النية، الاجتناب عن سوء الظن، ملامة شرب الخمر، الابتعاد عن العدو و...، مستلهما من القرآن الكريم و الأحاديث النبوية (ص) في تبيينه لهذه القيم و طبعاً ليس البارودي عالماً دينياً أو اجتماعياً أو ملماً بعلم النفس حتي يعلق تعليقا علمياً عميقاً علي القيم التي يتناولها بالبحث بل كان أديباً شاعراً يتطرق إليها مستهدفاً لتبيينها في لغة شعرية مستلهما من الآيات و الأحاديث مستندا إليها. يحاول هذا المقال أن يتناول بالبحث عدداً من هذه القيم و المعتقدات و التناسل الديني الموجود في أشعاره.

### التوحيد و صفات الباري

إن التناسل القرآني فيما يتعلق بالعقائد الإسلامية في ديوان البارودي يشكل عدداً كبيراً من أشعاره حيث نراه يستخدم التناسل اللفظي بنوعيه، التناسل الجملي و تناسل الكلمة المفردة، بينما يستخدم التناسل المعنوي أيضاً.

من العقائد الإسلامية التي يقوم الدين الحنيف عليها هي وحدانية الله و أن لا يوجد لذاته تعالي شريك في الملك. فنري الشاعر يتطرق إلي هذه القضية مقتبساً من الآيات الشريفة: "لا شريك له و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين" (الأنعام-١٦٣).

و كذلك: "ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه و هو علي كل شيء وكيل" (الأنعام-١٠٢). فنشاهد التناسل لهذه الآيات في الأبيات التالية:

لقد تفرد في لاهوت قدرته      فما له أبداً في ملكه ثاني

(الديوان، ج٤، ص ١٥٢)

ديني الحنيف و ربي الله      و شهادتي أن ليس إلا هو

(الديوان، ج٢، ص ٣٦٠)

ثم يشرع البارودي في ذكر صفات الباري جل جلاله فيستطرد إلي خالقته التي سببت في أن يخرج العالم من طور العدم إلي الوجود، مبيناً أن هذه الخالقية تنشأ من المشيئة الإلهية حيث لم يكن الله مضطراً مجبوراً لخلق العالم فيقول الشاعر:

صور تدل علي حكيم صانع      و الله يخلق ما يشاء و يبرأ

(الديوان، ج١، ص ٢٦)

و فيه تناسل لفظي صريح للآية: "قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون"

(آل عمران-٤٧) وعندما ننظر إلي هذا البيت و علاقته بالنص القرآني، نلاحظ أن الشاعر لا يتعدي تصرفه بالنص السابق (أو الغائب) التشكيل اللغوي فالدلالة هي هي و الفضاء الديني هو نفسه و يقول أيضا:

يريد كل امرئ منا و يفعل الله ما يشاء

(الديوان، ج١، ص٢٤)

و فيه تناص لفظي للآية: "و من يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء" (الحج-١٨) وكذلك يقتبس من الآية التالية: "وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد" (البروج-١٦-١٤) قائلا:

عسي إلهي يفك أسري فهو فعال لما يريد

(الديوان، ج١، ص٢١٦)

ثم يتطرق الشاعر إلي أن هذه الحلقة لم تكن عن عبث و لهُو بل كانت فيها حكمة حيث يقول:

ما خلق الله الوري باطلا ليرتعا بين البوادي سدي

(المصدر نفسه، ص٢٣٠)

حيث نشاهد تناصين، فمرة تناصا جمليا لهذه الآية: "ربنا ما خلقت هذا باطلا" (آل عمران-١٩١) و أخرى تناص الكلمة المفردة أي "سدي" للآية: "أبحسب الإنسان أن يترك سدي" (القيامة-٣٦) ثم يشير إلي أن الله الذي خلق العباد من العدم لم يتركهم لحاظهم يتيهون في الضلال بل كلف نفسه بإرشادهم و هدايتهم، فالله هو الهادي الوحيد و من لا يأخذه هاديا يضل عن صواب الطريق فيقول البارودي:

و لا تلتمس من غير مولاك هاديا إذا الله لم يهد العباد فمن يهدي؟

(الديوان، ج١، ص٢٣٩)

و فيه إشارة لا يخفي إلي الآية: "و من يضل الله فما له من هاد" (الرعد-٣٣) فلأجل هذا يرى أن الله تعالي كاف للعباد في كل أمر صعبا كان أو سهلا فيحرض الناس علي التوكل علي الله و التضرع إليه:

مددت كفي إليك مبتهلا و أنت حسبي فلا ترد يدي

(الديوان، ج١، ص٢٥٤)

و فيه تناص معنوي للآية: "و توكل علي الله و كفي بالله و كيلا" (الأحزاب-٣) فيتطرق الشاعر إلي أن من الواجب علي الإنسان أن يختار الله تعالي وحده وليا و حاكما لا غير حيث يلزم عليه أن يترك ولاية الشيطان و ينضم إلي ولاية الرحمان:

كن واثقا في كل محنة فالله أولي بالعباد و أرفق

(الديوان، ج٢، ص١٦٢)

و فيه تناص معنوي للآيات التالية: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلي النور" (البقرة-

٢٥٧) و "الله ولي المؤمنين" (آل عمران-٦٨)

مما لا شك فيه أن الله جل جلاله أزلي أبدي فكان و يكون دوماً فيبقى إلي الأبد فيشير البارودي إلي هذه الميزة الإلهية قائلاً:

علي هذا يسير الناس طرا و يبقى الله خالق كل نفس

(الديوان، ج٢، ص ١٦٢)

وهو ما يحيل إلي هذه الآيات: "كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام" (الرحمان-١٧ و ١٦) و "لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه" (القصص-٨٨) إن البارودي كمسلم ملتزم بالعقائد الإسلامية يرى أن الله تعالى تواب يغفر الذنوب مهما كانت كبيرة فلا ينبغي للمسلم أن ييأس من رحمة الله إذ إن اليأس إثم كبير فيقتبس من الآية: "قل يا عبادي الذين أسرفوا علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم" (الزمر-٥٣) فيقول:

لا يقنط المرء من غفران ربه ما لم يكن كافراً بالبعث و القدر

(الديوان، ج٢، ص ٩٢)

ثم يحذر الإنسان من أن يقترب ذنباً لا يتوب منه إلي الله تعالى فيبشره بعذاب أليم مثلما حدث لقوم عاد:

أباده الدهر رغماً بين أسرته كما أباد بريح صرصر عادا

(الديوان، ج١، ص ٢٥٣)

و فيه استحضار لقصة قوم عاد الذين رفضوا الإيمان بالله فتزل العذاب بهم كما في الآية: "و أما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية" (الحاقة-٦) وأخيراً يستنتج الشاعر من جميع هذه الصفات الإلهية أن الله تعالى وحده يليق بالحمد و الثناء قائلاً:

فالحمد لله الذي وهب العلا و سرا الأذي عني فأبصرت المهدي

(الديوان، ج١، ص ٣٧)

و فيه تناص لفظي للآية التالية: "الحمد لله الذي خلق السموات و الأرض" (الأنعام-١) ثم يترجمه من كل الشوائب و العيوب قائلاً:

تترهت عن صفة ذاته و قام في لاهوته أوحدا

(الديوان، ج١، ص ١٢٥)

و فيه تناص معنوي للآية: "سبحان الله عما يصفون" (الصفات-٥٩) فيقرن البارودي التزيه ببيان الصفة في قوله:

سبحان من أبدع في ملكه حتي بدا من صنعه ما بدا

(الديوان، ج١، ص ١٢٥)

فيصفه بأنه هو المبدع الخالق عن عدم، مقتبسا من الآية: "بديع السماوات و الأرض و إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون" (البقرة-١١٧).

### المعاد

إن البعث و المعاد كأصل من أصول العقائد الإسلامية يشكل عددا من أبيات كل شاعر مسلم. بمن فيهم البارودي فنراه مقتبسا من الآيات "الله يبدأ الخلق ثم إليه ترجعون" (الروم-١١) و "إلي الله مرجعكم و هو علي كل شيء قدير" (المود-١١) فنشاهد التناص المعنوي لهذه الآيات في الأبيات التالية:

كل امرئ يوما ملاق ربه      والناس في الدنيا علي ميعاد

(الديوان، ج١، ص ١٩٨)

فإن تكن الأيام فرقن بيننا      فكل أمر يوما إلي الله صائر

(الديوان، ج٢، ص ٣٦)

فيحض الشاعر الناس علي أن يكونوا علي أهبة الإستعداد ليوم البعث بالأعمال الصالحات قائلا:

فلينظر المرء ما قدمت يده      قبل المعاد فإن العمر لم يدم

(الديوان، ج٢، ص ١٧)

وفيه تناص لفظي جملي لهذه الآية: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد" (الحشر-١٨) فيشدد علي الموضوع قائلا بأن كل إنسان قرين مع أعماله في الدار الآخرة:

كن كما شئت من رشاد و غي      كل حي بما جناه رهين

(الديوان، ج٢، ص ٩٤)

آخذنا من الآية الكريمة: "كل امرئ بما كسب رهين" (الطور-٢١).

### التقوي

إن التقوي من القيم التي تلعب دورا هاما في حياة الإنسان إذ بما تتحقق روحانية الإنسان و تعالي روحه ففري أن الله تعالي يشير إليها في ٩٩ آية. بما فيها "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديدا" (الأحزاب - ٧٠) و كذلك النبي (ص): "اللهم إني أسالك الهدى و التقوي و العفاف و الغني" (فحج الفصاحة، ص١٠٨).

يتطرق الشاعر في أشعاره إلي هذا الموضوع فيراه الزاد الوحيد الذي يجب علي الإنسان أن يتزود به في الدنيا لآخرته:

ليس للإنسان فيها      غير تقوي الله قوت

(الديوان، ج١، ص ٩٧)

إن التقى في رؤية الشاعر هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تنقذ الإنسان من هوة الذنوب و الآثام، و في غيابها يقتترف عباد الله جميعا الذنوب مؤمنين كانوا أو كافرين:

يا دمية و لولا التقية لاستوتُ  
في حبهما الفتاك و الوُعَاظُ

(الديوان، ج ٢، ص ١٩٧)

وكذلك يدعو عباد الله إلي التقوي بتذكير العذاب الإلهي في يوم القيامة:

يا أيها الناس اتقوا ربكم و اخشوا عذاب الله و الآخرة

(المصدر نفسه، ص ١٢٢)

وفيه تناص لفظي للآية الكريمة: "يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم" (الحج - ١) إن البارودي كشاعر ملتزم يعتقد أن واجب الشعر هو أن يكون في خدمة الإنسانية و تهذيب الأخلاق فيطالب نفسه و سائر الشعراء بالتقوي:

أيها الشاعر اتق الله و اذكره  
أن للشعر حكمة علياء

(الديوان، ج ٢، ص ١٥٩)

### التوبة

إن التوبة كسبيل لتصفية الروح و تزكية النفس تخلي الإنسان من جميع الشوائب العالقة بالقلب و تجعله طاهرا نقياً كمن ولد في يومه فتعتبر التوبة مرحلة جديدة من حياة المذنب الآثم. و من ثم نري أن الشريعة الإسلامية السماوية يشدد عليها كوسيلة لفلاح الإنسان المذنب: «يا أيها الذين آمنوا توبوا إلي الله توبة نصوحا» (التحريم - ٨) و قد ورد في الحديث الشريف: «يا أيها الناس توبوا إلي الله و استغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة» (النووي دمشقي، ١٣٧٣ هـ.ش، ص ١٣).

إن موقف البارودي من التوبة موقف منسجم مع الدين الإسلامي حيث نراه يتطرق إلي هذه الظاهرة مستلهما من الآيات و الأحاديث فيري أن علي المذنب أن يتوب في أسرع وقت ممكن و لا يوجل التوبة لغد إذ إن التأجيل فيها ربما يؤدي إلي مندمة لاتنفعه:

فتسبُ إلي الله قبل مندمة  
تكثر فيها الهُمومُ و الكُربُ

(الديوان، ج ١، ص ٨٨)

ويعتقد أيضا أن الله تعالي رحمان قابل للتوبات بحيث إذا ارتكب الإنسان إثما عن جهالة فيسرع إلي أن يتوب إلي الله توبة نصوحا، يتقبل الله توبته:

فاصرعُ إلي الله و استوهبه مغفرة  
و اعجلُ و لا تنتظرُ توباً غداً  
تمحو الذنوبَ فجاني الذنب يعتذرُ  
فليس في كل حين تُقبَلُ العُذرُ

(الديوان، ج ٢، ص ١١٢)

فيستخدم الشاعر في البيت الأخير التناص المعنوي للآية الكريمة: «وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموتُ قال إني تبتُ الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً» (النساء - ١٩ و ١٨)

### الزهد

إن التعلق بالدنيا وما فيها كان ولا يزال سبباً لسقوط الإنسان في مستنقع الإثم والظلم والجور فأكدت الشرائع السماوية ولاسيما الإسلام علي الزهد في الدنيا كما قال النبي (ص): "الزهد في الدنيا يريح القلب و البدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن" (فتح الفصاحة، ١٣٨٨ هـ، ص ٢٨٩) و أيضاً "مالي و للدنيا انما مثلي و مثلها كمثلي الراكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثم راح و تركها" (الكليبي، دون تاريخ، ص ٢٠٢).

يذكر البارودي الناس بأن لا يندفعوا بالدنيا، و يعرف طالبي الدنيا أشخاصاً عاجزين بؤساء. و يري أنما تدور رحي الدنيا يوماً علي ما يرام و يوماً علي ما لا يرام، فيشبهها بأسد مستعد للانقضاض علي الإنسان و يري أنه لا قيمة للدنيا و للحكم فيها، و الملوك الجبابرة الظلمة لن يتمتعوا بها فيتركونها لحالها و يمضون لسبيلهم حيث القبر مسكنهم الأبدى:

كلُّ حي سيموتُ      ليس في الدنيا ثبوتُ  
حركاتٌ سوف تَفني      ثم يتلوها خُفوتُ

(الديوان، ج ١، ص ٣٣٣)

وفيه تناص معنوي لقوله تعالى: "و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" (آل عمران - ٥) و يقتبس من الآية "كل نفس ذائقة الموت" (آل عمران - ١٨٥) منشداً:

كل امرئ ذاهب لغايته      و كل نفس بالغيب مؤتمره

(الديوان، ج ٢، ص ٩٥)

فلا تحسبن المرء يقي مخلداً      فما النفس إلا بعد كل نماء

(الديوان، ج ١، ص ٢٧)

يشدد البارودي علي لزوم الاعتبار من الماضين الذين كانوا يعيشون أياماً في الدنيا و هم مقتدرون ذوو عظمة و جلال بينما نراهم الآن رهائن القبور، مشيراً إلي الآية الكريمة: «ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد» (الفجر، ٨-٦) فيشوق الإنسان بالزهد في الدنيا:

أين الألي شقوا البحورَ      و شيدوا ذات العمادِ

(الديوان، ج ١، ص ٢٥٤)

و يستفيد من التناص لهذه الآية: "كم تركوا من جنات و عيون" (الدخان-٢٥) فينشد:

أيها السادرُ قل لي      أينَ ذاك الجبروتُ  
زالت التيجانُ عنهم      و خلَّتْ تلك الثُّخوتُ

(الديوان، ج١، ص٣٣٣)

فيستنتج بأنه لافرق بين من يكون ثريا أو فقيرا فكل واحد منهما لا محالة يودعان الدنيا و يقضيان نحبهما لأن الموت حتم علي الإنسان:

للموت أسباب ينال بها الفتي      فمن بات في نجد كمن بات في وهد  
وكل امرئ في الناس لاق حمامه      فسيان رب العيرو الفرس النهدي

(الديوان، ج١، ص٢٣٨)

وفيه تناص معنوي لقوله تعالى: "أينما تكونوا يدرككم الموت و لو كنتم في بروج مشيدة"

(النساء-٧٨)

و تأكيداً علي الزهد في الدنيا يشبه الدنيا بحديقة نضرة ثمرها الحزن و الأسى، و أزهارها و أورادها هي الظلم و الجور فيلزم الحذر من هذه الحديقة و يشبهها أيضا بفندق يتزل المسافر فيه مؤقتا ثم يتركه مواصلا سفره . فيستنتج الشاعر أن الإنسان في الدنيا يشابه المسافر في الفندق فيجب أن لا يتعلق بها لأنها ليست دار قرار بل دار فناء و زوال:

لعمرك ما حي و إن طال سيره      يعبدُ طليقاً و المنونُ له أسرُ  
ما هذه الأيام إلا منازلُ      يحلُّ بها سفرٌ و يتركها سفرُ  
فلا تحسبنَّ المرءَ فيها بخالد      و لكنّه يسعي و غايته العمرُ

(الديوان، ج١، ص٤٦)

## الجهاد

إن البارودي بوصفه شاعرا يعتنق الدين الحنيف، يستفيد من فنه لترغيب الناس في الأحكام الإسلامية بما فيها الأصول و الفروع و القيم الأخلاقية فنراه يتطرق أحيانا إلى موضوع الجهاد في سبيل الله مقتبسا من قوله تعالى: "فضل الله المجاهدين علي القاعدين أجرا عظيما" (النساء-٣٦) فيقول في أسلوب استفهام إنكاري مفضلا للجهاد علي القعود:

فهل دفاعي عن ديني و عن وطني      ذنب أذان به ظلما و أغترب

(الديوان، ج١، ص٦٥)

فيري البارودي أن للجهاد و للشجاعة دورا هاما في اكتساب المجد و العلي و العزة. فهو يقدرهما حق التقدير لأنه جرب الوقائع فعلا و اشترك مباشرة في عدد منها. بما فيها معارك جزيرة "كريت"

سنة ١٨٦٦م حيث ثارت علي الدولة فأسهم إسماعيل بجيشه في إخماد الثورة، وكذلك الحرب ضد روسيا عام ١٨٧٧م فوصف هذه المعارك و ما بذله الأبطال فيها من شجاعة وبسالة:

لا يدركُ الجِدَّ إلاَّ مَنْ إذا هتفت به الحمية هزَّ الرمحَ و انتصبا

(المصدر نفسه، ص ٦٧)

إن الشاعر كجندي باشر المعركة، يشبه نفسه و زملاءه من الجنود بأسود لاتزال علي أهبة الاستعداد لشن الهجوم علي العدو عند طلوع الفجر:

تـرانا كالأسد نرصدُ غارةً يطير بها فتقُّ من الصبح لأمحُ

(المصدر نفسه، ص ١١٢)

و يعتقد أيضا أن جنوده لاتشعر بأي خوف أو قلق عندما يقتحمون المعارك بل يدحرون العدو و يهزمونه بكل شجاعة و بسالة:

إنّا أناس لا تهاب نفوسنا لقاء الأعداي أو قراع الكتائب

نردُّ علي الأعقاب كلَّ سرية و نعجز عن نبل العيون الصوائب

(المصدر نفسه، ص ٦١)

و أخيرا يعبر البارودي عن شجاعته و بسالة أسرته و جنوده بأن ميلادهم، حياتهم و موتهم في ميدان القتال فيقول: عندما يولد منا وليد يرضع من دم الأعداء، و الخيول السريعة مهده، و الصحاري و السهول بيته، و في النهاية بطن الطيور قبره و مرقده:

إذا وُلد المولود منا فدرُّه دمُ الصيدو الجردُ العناجيحُ مهدهُ

فإن عاش فالبيدُ الدماميمُ دارُه و إن مات فالطيرُ الأضاميمُ لحدُه

(الديوان، ج ٢، ص ٧٥)

### الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

إن الله تعالى خلق الإنسان و دعاه إلي صواب الطريق لكي يتعالي و تتحقق حقيقته الإنسانية الإلهية فأنزل الأديان السماوية و أرسل الأنبياء إرشادا له و في هذا الصدد ألزم المؤمنين بفريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر تحقيقا للوصول إلي المجتمع المثالي الذي يخلو من الإثم و الفسق و الذي يسوده الإيمان و الطاعة حيث نرى أنه تعالى يصف المؤمنين بأنهم يأمرون الآخرين بالمعروف و ينهونهم عن المنكر: " يؤمنون بالله و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر يسارعون في الخيرات و أولئك من الصالحين" (آل عمران-١١٤) فيقتبس البارودي كملبغ للأحكام الإسلامية، من هذه الآية قائلا:

أمرت بمعروف و أنكرت منكرا و ذلك حكم في رقاب الخلائق

(الديوان، ج ٢، ص ٣٧٥)

### الدعاء

إن للدعاء في المنظور الإسلامي منزلة عالية بحيث يعد جسرا رصينا يعبره العبد إلى المعبود فتري أن الإسلام يحرص على أن المسلم يستفيد من سلاح الدعاء لتغترف ذنوبه و تتعالي روحه فتجد في القرآن ١٠٤ آيات يستفاد فيها من كلمة "ربنا" و التي تعد دعاء في أكثرها فعلي سبيل المثال " ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب " ( آل عمران- ٨) و كذلك وردت أحاديث نبوية(ص): "الدعاء هو العبادة" أو "الدعاء سلاح المؤمن" أو "الدعاء مفتاح الرحمة" (نهج الفصاحة، ص ٢٤٩)

إن البارودي كشاعر مسلم معتقد بالمباني الدينية يهتم بموضوع الدعاء اهتماما خاصا و يخص عددا كثيرا من أشعاره بالدعاء و أن يسأل الله تعالى فيدعوه أن يصفح عنه و يغفر ذنوبه بحق النبي (ص):

يا ربَّ بالمصطفى هبَّ لي و إن عظمتْ جرائمي رحمة تُغني عن الحُجج

(الديوان، ج ١، ص ١٠٤)

و يكرر نفس المعنى في الأبيات التالية:

ربَّ هبَّ لي من الكرامة ما يسرُّ نفسي فإنما وجره  
ولا تكلي لي لمن يعد بني فإن نفسي إليك مفتقره

(الديوان، ج ٢، ص ٩٥)

وهو يميل إلى الحديث النبوي: "اللهم (إلهي) لا تكلي لي نفسي طرفة عين أبدا ولا تتزع مني صالح ما أعطيتني" (نهج الفصاحة، ص ١١٢).

و جدير بالذكر أن البارودي لا يجعل الدعاء وسيلة للغفران الإلهي فحسب بل يجعله أحيانا وسيلة للعذاب الإلهي حيث يدعو على الذين يبيعون دينهم بدنيا الآخرين:

فلا رحمَ امرأ باع دينه بدنيا سواه و هو للحقِّ رامقُ

(الديوان، ج ٢، ص ٣٣٧)

وفيه تناص معنوي للآية: " أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب و لا هم ينصرون" (البقرة - ٨٦)

### الصبر

يخجل ديوان الشاعر بالأشعار التي نظمها عن الصبر و الحلم. فمرة و بحكم "الصبر مفتاح الفرج"

يري أن الصبر يسبب في النصر و الظفر و أن الإنسان عند المشاكل و الحروب يستطيع أن يتغلب عليها بالصبر، فيدعو الناس به في الصعوبات:

صبرتُ لها حتَّى تجلَّتْ سماؤها و إني صبورٌ\* إن ألمَّ بي الخطبُ

(الديوان، ج ١، ص ٦٧)

فاصبرِ علي المَكروهِ تظفرُ بما شئتَ فقد حازَ المُني من صبرِ

(الديوان، ج ٢، ص ١٠٢)

و مرة أخرى يقتبس من الآية الكريمة " فاصبر لحكم ربك و لاتطع منهم أمراً او كفوراً " (الإنسان- ٢٤) فيري أن الإنسان يلزم عليه أن ينقاد للقضاء و القدر و يجب أن يصبر علي المكروهات التي تحدث من جراء الحكم الإلهي:

فدعْ ماضي و اصبرِ علي حكمةِ القضا فليس ينالُ المرءُ مفاتٍ بالجهدِ

(الديوان، ج ٢، ص ٢٣٩)

و كذلك يري في الصبر سبباً للسيادة الإنسانية:

و ليس يسودُ المرءُ إلاَّ بِجَلْمِهِ علي قومِهِ و الصَّحْحُ عن كلِّ مُذنبٍ

(الديوان، ج ١، ص ٦٨)

و في رؤية البارودي أن الصبر أفضل دليل علي الفضائل الأخلاقية:

و لو لم يكنْ في الصبرِ عدلٌ شاهد علي كرمِ الأخلاقِ ما حُمِدَ الصبرُ

(المصدر نفسه، ص ٩٧)

و يستخدم التناسل اللفظي لهذه الآية: " فاصبر صبرا جميلاً " (المعارج-٥) قائلاً:

يا قلب صبرا جميلاً إنه قدر يجري علي المرء من أسر و إطلاق

(ج ٢، ص ٩٧)

وأخيراً يصل إلي النتيجة و هي أن جميع الأمانى الإنسانية تتحقق بالصبر، و هو يستلهم من الآية الشريفة: " يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة ان الله مع الصابرين " (البقرة- ١٥٣) فيقول:

يا قلب لا تجزع فان المني في الصبر و الله مع الصابر

(الديوان، ج ١، ص ١٠٦)

## الوفاء بالعهد

إن الشريعة الإسلامية تحث المسلمين دائماً علي الوفاء بعهودهم التي يعقدونها:

" و أوفوا بالعهد إنَّ العهدَ كان مسؤولاً " (الإسراء - ٣٤) و قد ورد في الحديث الشريف: " لكل

غادر لواء يوم القيامة يعرف به " (هجج الفصاحة، ص ٣٧٤) فتري أن الإسلام يجعل السدين و العهد

متلازمين حيث روي عن النبي(ص): " لا دين لمن لاعهد له" (المصدر نفسه، ص ٤٠٣)  
يتطرق البارودي كمسلم إلي هذا الموضوع فيجعل من العهد معني عاما و يرتقي أن الإنسان عندما  
عقد عهدا مع الآخرين يفترض عليه أن يفني به لأن هذا الوفاء يضمن الصداقة للناس، و الغدر يسبب  
في الفراق بين الأصدقاء:

إني إذا ما الخُلُّ خاسَ بعَهْدِ      بعد الودادِ فلستُ من أصحابِهِ  
(الديوان، ج ١، ص ٧٧)

كيف يصحُّ بعد العُدْرِ وُدُّ      و تُسَلِّمُ رَنيةً بعد ارتياب؟  
(المصدر نفسه، ص ٨١)

و يعلن الشاعر أيضا أن الإنسان إذا وفي بعهدده مع الآخرين لايجاول أن يخدعهم و يغدر بهم فيبقي  
صديقا مخلص الود لهم:

لا تحسبي قولي خديعة ماكر      إن الوفي بعهدده لم يخدع  
(المصدر نفسه، ص ٢٠٦)

يسائل الشاعر في أسلوب إنكاري كل من ينكث بيمينه فيتوقع من الآخرين أن يفوا بعهددهم، قائلا  
لهم إن هذا أمر مستحيل:

أفي الحقُّ أننا ذاكرون لعهدكم      و أنتم علينا ليس يعطفكم وُدُّ؟  
(المصدر نفسه، ص ١٦٦)

## الجود و الكرم

ينظر الدين الإسلامي إلي موضوع الجود و السخاء نظرة خاصة كما في الآية الكريمة: " الذين  
ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا و لأذي لهم أجرهم عند ربهم و لا خوف  
عليهم و لا هم يحزنون" (البقره-٢٦٢) و الحديث النبوي(ص): " ما نقص مال من صدقة" (نحو الفصاحة،  
٤١٥).

اختصت أشعار كثيرة من ديوان البارودي بالجود و الكرم كقيمة إسلامية فنري الشاعر يشبه  
الجود بسحاب ممطر ينبت من غيثة نبات الشكر قائلا إن الجود سبيل رئيسي للوصول إلي الجود و  
المقامات العالية و يعتقد أن الإنسان الثري إذا لم ينفق من ماله يفتقر و يحتاج إلي مساعدة الآخرين:

يلوموني في الجودِ و الجودُ مزنة      إذا همَلتُ في موضع نبت الشكرُ  
إذا المرءُ لم ينفقْ من المالِ وُسعَ ما      دَعَتْهُ المَعْلِي فالثراءُ هو الفقرُ

(الديوان، ج ١، ص ١٩٤)

يري البارودي أن ممتلكات الإنسان إذا لم تنفق في سبيل الخير و لم تجلب حمد الناس و

ثناءهم، لا يجديه أبدا:

فلا تحسبنَّ المالَ ينفعُ ربُّهُ إذا هو لم تحمداً قِراءُ العَشائِرُ

(المصدر نفسه، ص ٢٢٧)

هناك سنة قديمة في المجتمع العربي و هي أن السخاء يحفظ عرض الإنسان من اللوم و يجعله قويا فمن هذه الرؤية نري أن البارودي يشبه الكرم بالقدرة و يجعله حافظا لعرض الإنسان و ضامنا لأصله و نسبه و يقول إن الأبطال الشجعان المستميتين الذين يفدون بأرواحهم لا ييخلون ببذل أموالهم:

و جُدْ بما ملكتُ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ فالجودُ كالْبأسِ يحمي العِرضَ والنَّسبَا  
لا يَفْعُدُ البطلُ الصَّنْدِيدُ عن كِرمٍ مَنْ جادَ بالنفسِ لم ييخلُ بما كَسَبَ

(المصدر نفسه، ص ٦٩)

### ذم النميمة

إن النميمة من الرؤية الإسلامية ظاهرة ممقوتة مذمومة لا بد للإنسان أن يجتنب عنها كل الاجتناب كما في الآية القرآنية: «و لا تُطعُ كلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشْتَاءٍ بِنَمِيمٍ» (القلم - ١١ و ١٠) و الحديث النبوي (ص) " لا يدخل الجنة ثمام " (النووي دمشقي، ص ٨٧٢)

يبادر البارودي في أشعار كثيرة من ديوانه إلى عدل النميمة و النمام فيري أولاً أن السبب في النميمة هو الحقد والبغض الكامنان في قلب النمام فهو و إن ظهر بمظهر إنسان سليم النفس لكنه يقوم بالنميمة نظرا إلى الحقد المقيم في قلبه:

فاحذِرِ الناسَ ما استطعتَ فَإِنَّ الناسَ إِلاَّ أَقْلَهُمُ أَعْدَاءُ  
مِنَ الناسِ مَنْ نراهِ سَليماً و بِهِ للحقودِ داءٌ عَيَاءُ

(الديوان، ج ١، ص ٢٨)

ثم يقوم الشاعر إلى ذكر تداعيات هذه الظاهرة الخطرة فيري أن النميمة من شأنها أن تسبب في فك أواصر الصداقة فيما بين الناس:

لولا النميمة لم يَقَعْ بينِ امرئِ و أخيه من بعدِ الوِدادِ عِدَاءُ

(المصدر نفسه)

و كذلك يعبر عن النميمة بمرض يجب علاجه فيخاطب الذين يستمعون إلى كلام النمامين أن النميمة لا تؤدي إلى الإصلاح بل تؤدي إلى الإفساد لأنه علة روحية يلزم علينا أن نعالجها:

لا تَحُلْ نَمَةَ الوُشاةِ صلاحاً فَهِيَ داءٌ تَدْوِي بهِ الحَوْباءُ

(المصدر نفسه)

## حفظ السر

يعتبر حفظ الأسرار في التعاليم الإسلامية من القيم الدينية السامية: "صدر العاقل صندوق سره" (فحج البلاغة، ١٣٥١ هـ.ش، ص ١٠٩٠) و "من كتم سره كانت الخيرة بيده" (المصدر نفسه، ص ١١٦٦).

يستطرد البارودي في شعره إلي هذا الموضوع القيم، ففي رؤيته أن السر عبد للإنسان و أسيره مادام لم يفش و إذا ما فشا يجعل الإنسان أسيراً و عبدا له فيشدد علي حفظ الأسرار:

السرُّ عبْدُك ما استطعتَ حِفاظَه      فإذا أفضتَ به فإتَّك عبْدُه

(الديوان، ج ١، ص ٢٥)

وفيه تناص معنوي لما أثر عن الإمام علي ابن أبي طالب (ع): "سرك أسيرك فإن أفشيتته صرت أسيره" (غرر الحكم و درر الحكم، ١٣٦٦ هـ.ش، ص ١٤٦) و يبين أيضا فوائد حفظ السر و مخاطر إفشائه، فمن فوائده أنه يؤدي إلي مجد الإنسان و كرامته و يمدحونه به في كل مجلس:

عوْدُ فؤادك أن يكون مجنة      للسرِّ فهو لدي المخافل حمْدُه

(الديوان، ج ١، ص ٢٥)

و يؤكد علي مضار إفشاء السر بحيث يلزم علي الإنسان أن لا يفشي أسراره ولو عند صديقه إذ إنه من المحتمل أن يتحول عدوا في المستقبل القريب:

ألم تعلمْ و خبيرُ القولِ أبقي      بأن الصمتَ منجاة الأريبِ  
فلا تأمنْ علي سرِّ حبيباً      فقد يأتي العدوُّ في الحبيبِ

(المصدر نفسه، ص ٧٨)

## العلم

مما لا شك فيه أن الإسلام كدين إلهي خاتم اعنتي بموضوع العلم كل الاعتناء و بين مكانته العالية و حذر المسلمين من الجهل الذي يتخلف به العقل و المجتمع الإنساني ففري أن أول آية نزلت تبين أهمية العلم و المعرفة: "اقرأ باسمك الذي خلق" (العلق-١). فالعلم من الرؤية الإسلامية نور يقذفه الله في قلب من يشاء يهتدي به الطالبون الهداية و الفلاح، و الجهل ظلمة يضل من ينهج نهجه و يسلك سبيله فيؤكد القرآن علي ما بين العلم و الجهل من البون الشاسع: "قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون و إنما يتذكر أولوا الألباب" (الزمر - ٩) و نظرا لأهمية القلم يقسم به الله: "ن و القلم و ما يسطرون" (القلم - ١)

ففري البارودي يستلهم من هذه الآيات و كذلك الحديث النبوي (ص): "مَنْ حَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ" (النووي الدمشقي، ص ٧٨٠) فيمجد العلم و يشيد بالقلم كأداة

تنضح بما أفكار العلماء علي القرطاس و تنقل إلي المخاطب، فيعبر عن القلم بأنه يسقي و يروي العقول  
الظمأي:

براحتي قلم إذا حرَّكته رويت به الأفهام و هي حوار

(الديوان، مج ٢، ص ٧٦)

و كذلك يعتقد أن القلم وسيلة قوية للقتال في وجه العدو حيث يخرج من جميع الحروب مرفوع  
الرأس منتصرا:

ترتدُّ عنه قنابلٌ و جحافلٌ و تكلُّ عنه أسنة و شيفارُ

(المصدر نفسه)

و يقيس الشاعر الصوت الناتج عن حركة القلم علي القرطاس بالأنغام الموسيقية التي تنشأ من  
الأدوات الموسيقية فيفضل صوته علي صوتها حيث تسجد أمامه:

غرؤٌ إذا ما جالَ فوق صحيفة سجدتُ لحسنِ صريره الأوتارُ

(المصدر نفسه)

في رأي البارودي أن عزة الأمم، قوتها و عظمتها كلها رهن العلم و الفكر:

بقوة العلم تقوي شوكة الأمم فالحكُّم في الدهر منسوب إلي القلم

(الديوان، ج ٣، ص ٥١١)

ثم يقوم بمقارنة بين السيف والقلم فيبين البون الشاسع بينهما من حيث التأثير كما يكون المسافة  
بين الأرض والسماء:

كم بين ما تلفظُ الأسيافُ من علق و بين ما تنفثُ الأقلامُ من حِكَم  
لو أنصف الناسُ كان الفضلُ بينهم بقطرةٍ من مداد لا بسفك دم

(المصدر نفسه)

### الاجتناب عن ظن السوء

هناك أشعار عديدة في ديوان البارودي تحذر الإنسان من سوء الظن بالآخرين مستلهمة من الآية  
الشريفة: «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظنِّ إن بعض الظنِّ إثمٌ» (الحجرات - ١٢) و الحديث  
النبي(ص) "إياكم و الظن فإن الظن أكذب الحديث" (النووي الدمشقي، ص ٩٠٢)

فيري أن سوء الظن يجر الإنسان إلي الذنوب و يحول دون وصوله إلي الأهداف السامية:

رأي كلفي لا يستفيقُ فظنِّي بي هتات و سوءُ الظنِّ داعية الوزرِ

(الديوان، ج ٢، ص ١٢)

يظنون بي شرًّا و لستُ بأهله و ظنُّ الفتي من غير بينة و زرُّ

(المصدر نفسه، ص ١٣٣)

و كذلك يعتقد البارودي أن سوء الظن ينتهي إلى هلاك الإنسان و فنائها:  
أُتَحَسَّبُ أَنَّ الظَّنَّ يَدْرِكُ بَعْضَ مَا تُحَاوِلُهُ وَ الظَّنُّ لِلْمَرْءِ مُؤَبَّقٌ

(المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٣)

### الحذر من معاشرّة اللئام

يري الشاعر أن الاجتناب عن جلساء السوء ضروري كإحدى القيم الدينية الأخلاقية فيحذر الإنسان من مجالستهم و إن كانوا مقتدرين، و يعتقد أن معاشرتهم تعد من أصعب الأمور في الحياة و تؤدي إلى الحزن و الأسي و معاناة الكرام:

تَعَسَّتْ مَقَارِنَةُ اللَّئِيمِ فَإِنَّهَا شَرَّقَتْ النُّفُوسَ وَ مَحَنَتِ الْكُرَمَاءَ

(المصدر نفسه، ص ٢١)

يستلهم الشاعر من الحديث النبوي(ص): " المرء علي دين خليله " (مَجَّ الفصاحة، ص ٤٧٥) معلنا أن أصعب ما يواجهها الإنسان في حياته هو فقد الكرام و معاشرّة اللئام:

أَشَدُّ مَا يَلْقَى الْفَتَى فِي دَهْرِهِ فَقَدُ الْكِرَامِ وَ صَحْبَةُ اللَّئَامِ

(الديوان، ج ١، ص ٢٢)

يري البارودي أنه فرض علي الإنسان أن يحترز من اللئام و إن كانوا في المناصب الدنيوية العالية إذ إن أخلاقهم تعدي إليه:

وَ احْذَرْ مَقَارِنَةَ اللَّئِيمِ وَ إِنْ عَلَا فَالْمَرْءُ يَفْسِدُهُ الْقَرِينُ الْأَحْقَرُ

(الديوان، ج ٢، ص ٧٢)

### عدم الخنوع للذل

يطالب الإسلام دوما أتباعه بأن لا يخضعوا للذل و الهوان لأن المسلم عزيز شريف. روي عن النبي(ص): " من أقر بالذل طائعا فليس منا أهل البيت " (ري شهري، ج ١٠، ص ٢٥٠) فيري البارودي كشاعر مسلم أن الموت أفضل من الذل و الهوان:

دَعِ الذَّلَّ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ خَافَ حَتْفَهُ فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةِ عَلِيِّ الْأَدْيِ

(الديوان، ج ٢، ص ١٠٠)

و من منطلقه أن الإنسان إذا أراد الوصول إلى الأهداف المتعالية يجب عليه أن يركب مطايا الأخطار، فيجد كل ما يتجشمه في هذا الطريق محبوبا و في النهاية أنه لابد من أن يستسلم الدهر لمتطلباته:

همامة نفس أصعرت كل مآرب  
فكلفت الأيام ما ليس يوهب  
و من تكن العلباء همة نفسه  
فكل الذي يلقاه فيها محب

(الديوان، ج ١، ص ٣٩)

### الحذر من العدو

يعتبر الاحتجاب عن العدو من صميم العقائد الإسلامية لأن الإسلام يريد المسلمين أعزاء مرفوعي الرأس في حياتهم الدنيوية و الأخروية . يعتقد البارودي بخصمين في الحياة الإنسانية، أحدهما ظاهري و ثانيهما باطني و يجب علي الإنسان أن لا يهاب من العدو الظاهري بينما الثاني حدير بالخوف:

لا تخش بؤساً من عدو ظاهر  
و اخش المكيدة من عدو باطن  
كم بين شر ظاهر مستدرک  
منه الخلاص و بين شر باطن

(الديوان، ج ٣، ص ٦٧٨)

في رأيه أن المسلم يلزم أن لا يثق بالعدو لأن العدو يخدعه كما أن النار تخدع الفراش:

لا تركزن إلى العدو فإنه  
يغي سقاطك بالحديث المعجب  
كالنار تخدع الفراش بحسنها  
فينال منه البؤس إن لم يعطب

(الديوان، ج ١، ص ٧٨)

ففيه تناص لهذه الآية: "و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار" (المود - ١١٣)

ثم يعلن الشاعر أن الفوز و الفلاح و السلامة تتحقق بالابتعاد عن العدو:

فإن رمت السلامة فاجتنب  
عدواً فالسلامة في اجتناب

(المصدر نفسه، ص ٨١)

### مذمة شرب الخمر

يذم الشاعر الخمر و شرهما مستلهما بالآية الكريمة: " يستلونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير" (البقرة - ٢١٩) و الحديث النبوي (ص): " احذروا كل مسكر فإن كل مسكر حرام" (ري شهري، ج ٥، ص ٢٥١٠). فيري أن الخمر تزيل عقل الإنسان و تجره إلى الرذائل و كلما دخلت في قلب الإنسان تمسخه فيحذر منها:

ما أنا ممن تأسر الخمر لبه  
و يملك سمعيه اليراع المثقب

(الديوان، ج ١، ص ٣٨)

فبئس الخمر من مخدعة  
إذا تغشيت ممهجة قتل  
لسلمها في القلوب محترب  
كما تفش في المركب الجرب

(المصدر نفسه، ص ٨٧)

فيعرف السكران رجلا ضل الطريق:

دَع الحُمَيَّا فلابن حانتها      من صدمة الكأس لَهْدَمَ ذَرْبَ  
تراه نُصَبَ العيون متكناً      وعقله في الضلال مغترباً

(المصدر نفسه، ص ٨٨)

### عدم احتقار الفقراء

تشدد الشريعة الإسلامية علي ضرورة الاحترام لجميع أبناء البشر بما هو إنسان، وتؤكد أيضا تأكيداً خاصاً علي مساندة المعوزين والفقراء و بالتالي تحذر أتباعها من استصغارهم لفقرهم كما قال النبي(ص):«بحسب المرء من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم» (النووي دمشقي، ص ٩٠٢) يري البارودي أنه يلزم أن لا يحتقر المعوزون و الفقراء لفقرهم و لعوزهم وكذلك يلزم أن لا يكرم الأثرياء لثرائهم و غنائهم لأنه من المحتمل أن يكون الفقير ذا قلب حافل بالحكمة و العلم بينما يمكن أن يكون قلب الثري مليئاً بالجهل و البلاءة:

لا تَحْتَقِرْ ذا فاقة فلربما      لقيت به شهماً يبرّ علي المثري  
فربّ فقير بملأ القلب حكمة      و ربّ غني لا يريش و لا يبري

(الديوان، ج ٢، ص ١٥)

### النتيجة

إن للشعر و للشعراء دوراً هاماً و مكانة عالية في ترسيخ المبادئ العقدية في المجتمع الإنساني و لاسيما الإسلامي منه فنشاهد الشعراء المسلمين يبذلون قصاري جهودهم في هذا الصدد فيحصدون أشعاراً كثيرة من ديوانهم للوصول إلي هذا الهدف المنشود .  
و البارودي هو الآخر من أصحاب الالتزام في الأدب و الشعر حيث يري أن واجب الشعر هو تهذيب النفس، تعليم العقل و هداية الإنسان إلي قمة المكارم الأخلاقية لخلق مجتمع ديني أخلاقي مثالي، فحاول أن يحقق بشعره هذه الأمنية البشرية حيث يكون فيها الفلاح و الفوز للإنسان، فقام الشاعر بأن يعلم الناس التعاليم الدينية و الأحكام الإسلامية مستلهماً بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية(ص) و بين للناس القيم الدينية الأخلاقية الفردية و الاجتماعية التي لها دور رئيس في حياة الإنسان، فديوانه حافل بهذه الفضائل و نراه يلعب دور المرشد و القائد الديني للناس .

وللتناص الديني- ولاسيما التناص القرآني- دور عظيم في ديوانه فيستخدم التناص القرآني لفظيا كان أو معنويا لتبيين أفكاره و معتقداته التي تكونت منذ أيام طفولته حيث كان خاضعا لتربية قرآنية دينية.

## المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. الإمام علي ابن أبي طالب (ع)، شرح غررالحكم و دررالحكم آمدي، بامقدمه و تصحيح مسير جلال الدين حسيني، انتشارات دانشگاه تهران، تهران، ايران، ج٤، ١٣٦٦ ه.ش
٣. الامام علي بن أبي طالب (ع)، نهج البلاغه، به قلم سيد علي نقي فيض الإسلام، بي جا، تهران، ايران، ١٣٥١ ه.ش
٤. البارودي، محمود سامي، الديوان، الطبعة الأولى، دار الكتب، القاهرة، مصر ١٩٤٠ م، ج ١ و ٢ و ٣، ١٩٤٠ م
٥. پیامبر اعظم (ص)، نهج الفصاحة، ترجمه و نگارش علي اكبر مطاهري، چاپ اول، انتشارات پارسيان، تهران، ايران، ١٣٨٨ ه.ش
٦. جابر (شبانة)، ناصر، التناص القرآني في الشعر العماني الحديث، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، عمان، الأردن، ج ٢١، ٢٠٠٧ م
٧. الدسوقي، عمر، في الأدب الحديث، دار الفكر، الطبعة الثامنة، دمشق، سورية، ١٩٦٦ م.
٨. الدمشقي، أبوزكريا يحيى بن شرف، وياض الصالحين، ترجمه و شرح عبدالله خاموشي هروي، چاپ دوم، نشر احسان، تهران، ١٣٧٣ ه.ش.
٩. ري شهري، محمد، ميزان الحكمة، مترجم حميد رضا شبيخي، چاپ اول، دارالحديث، تهران، ج ٥ و ١٠، ١٣٧٧ ه.ش
١٠. ضيف، شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، الطبعة الثانية عشرة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦١ م.
١١. عويضة، محمد، محمود سامي البارودي إمام الشعراء في العصر الحديث، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤ م.
١٢. الكليني الرازي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، اصول كافي، بي جا، انتشارات علمي اسلامي، تهران، ايران، ج ٣، بي تا
١٣. محمد فارس سليمان، عبد المنعم، مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، جامعة النجاح الوطني، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥ م
١٤. مصطفى محمد، محمد، الفهرس الموضوعي آيات القرآن الكريم، الطبعة الرابعة، دارالجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٩ م.